• **صدر في: العلوم الاجتماعية**، تصدر عن معهد العلوم الاجتماعية الجامعة اللبنانية، العدد التاسع(2004)، صص. 90-120.

الشريك المفضّل
دراسة ميدانية استطلاعية بين الشباب اللبناني
(الجامعة اللبنانية)

عزّه شرارة بيضون

" بنت عيلة وغنيّة وحلوة"، وبهذا الترتيب، صيغت المعايير الرئيسية لدى تقييم صواب اختيار العروس للرجال في العائلة (الممتدّة) التي نشأت فيها. وحول هذه الصفات الثلاثة وتغيّراتها variations شهدت في طفولتي أحاديث لا نهاية لها في الزيارات المتبادلة بين خالاتي وقريباتهن وأصدقائهن. لكن، وفيما يخص الرجال المرشّحين ليكونوا أزواجاً لصبايا العائلة، بدا لي التغاضي عن رفعة مقام عائلتهم وعن جمالهم جائزاً، أحياناً، عملاً بمقولة "أن الرجل لا يعيبه إلا (فراغ) جيبه". هذه الأحاديث تناولت الكوبلات couples القائمة لكنها تطرّقت، أيضاً،إلى أخرى محتملة كان يجري استنساب جمع طرفيها معاً لأنها بدت للمتحدّثات في زياراتهن مستوفية الشروط المذكورة؛ هذه الشروط وتلك المعاييراستقرّت في مخزوني المعرفي والقيمي أقانيم ثابتة، ضرورية الوجود.

وقد انفك ارتباطي مع عائلتي حين التحقت بمدرسة داخلية، مختلطة على غير صعيد، أمضيت فيها سنوات مراهقتي، ومن ثمّ بجامعة كانت أغلبية طلابها من غير اللبنانيين. ولعل تنوّع الناس فيهما، وعدم تجانسهم وفرا لي فرصة فريدة لمراجعة قيم أهلي ومعاييرهم - أقانيمهم الثلاثة من بينها- لتحل محلّها أخرى بدت لي أكثر جاذبية؛ فيسع المرء بموجب المعايير الجديدة، مثلاً، أن "يكون" to beأموراً كثيرة ليستوي شريكاً لآخر، فلا يضطر ل"امتلاك" to have رِفعة مقام العائلة أو المال أو الجمال، جملة أو تفصيلاً.

وإذا كنت قد عَزَوْت إلى الأجواء الدراسية الثانوية والجامعية التي عشتها، شخصياً، هذه النقلة في القيم والمعايير، فذلك لأنني لم أكن لأدرك، يومها، أن فترة دراستي التي وقع أكثرها في النصف الأول من الستينات جاءت مقدّمة لأوقات نابضة بوعود الثورات جميعها- حركة تحرر المرأة من بينها؛ وبأن القيم السائدة بشأننا – نحن النساء- قد بدأت تتراجع لتُفسح في المجال أمام قيم أكثر ملاءمة مع أوضاع وأحوال مستجدّة. وكان لي أن أقرأ، لاحقاً، ما كتبته أقلام باحثين يؤكدون وجود صلة وثيقة بين التاريخ الاجتماعي وبين الحيوات الخاصة للأفراد[1]؛ وبأن وقوع أحداث تاريخية بعينها في مسار حيوات فئات/ قطاعات عُمرية age cohorts من الناس يسعه أن يولّد "جيلاً سياسياً" من أشخاص يتشاركون في الخبرات والإمكانات التي يوفّرها عالمهم. وهو ما يؤدّي إلى تعيين إمكاناتهم الكامنة ، ويؤهلهم إلى اعتناق أنماط من التفكير، ويتيح لهم خبرات ليقوموا، بالتناغم مع هذه كلّها، بسلوكات منها، خاصة، اختيار الشريك وعقد الشراكة من بينها، تبدو وكأنها تميّز أشخاصاً عاشوا في حقبة الأحداث الزمنية تلك[2].

ولا تشذّ حركة تحرر المرأة في موجتها الثانية، في الستينات والسبعينات من القرن الماضي عن كونها "حدثاً تاريخياً" طبع شخصيات جيل كامل من النساء والرجال بطابعها الخاص. وقد وثّقت لتلك

[1] Manheim,K.,(1972), " The Problem of Generations" in P.G. Albatch et al., **The New Pilgrims: Youth Protest in Transition**, David McKay, N.Y., pp276-322. (first published in1928).
And Erikson,E.H.,(1969), **Life History and the Historical Moment**. Norton,N.Y.

[2] Stewart, A.J. and Healy, J.M.,jr.,(1989), "Linking Individual Development and Social Change", **American Psychologist**, 44, 30-42.

الحقبة كتابات وأبحاث متنوّعة الشكل كان أكثرها روائياً anecdotal. وكنت تجده في أكثر[3] الكتابات النسوية لتأكيد محورية أثر الوعي النسوي الذي حصّلته النساء – والرجال أيضاً [4]- بنتيجة انتمائهن إلى "مجموعات رفع الوعي"consciousness raising groups على تشكيل هوياتهن/ هوياتهم الشخصية.

لكن الأمر لم يقتصر على ذلك، بل تجاوزه إلى الميادين العلمية كافة. ففي علم نفس الجندر، ميدان اهتمامنا، انطلقت أعمال رائدات أمثال بم Bem، وسبنس Spence وهلمريتشHelmreich [5] وزملائهم للبحث عن مدى شيوع هوية نسائية جديدة متلائمة مع التغيّرات المذكورة، وعن أشكال تلك الهوية، أوصافها النفسانية، والنفس اجتماعية إلخ.

وقد قمنا في أواسط الثمانينات، بوحي مباشر من أعمال الباحثين المذكورين أعلاه، وبالاستناد إلى أدوات بحوثهم ، بمحاولة لرصد هوية جديدة لشاباتنا الجامعيات[6]، حدسنا شيوعها في خضم أجواء عاصفة عاشتها مجتمعاتنا على غير صعيد. ونحن افترضنا أن الفئة العمرية 18-21، والتي شكّلت عيّنة دراستنا المذكورة، كانت قد أمضت سنواتها التكوينية الأولى في الفترة الزمنية التي عرفت الثورات التحررية كلّها، وبأنها "ورثت" المنجزات / الفرص المتاحة التي ناضل الجيل السابق للحصول عليها، لتصبح تحصيل حاصل ومعطى تلقائياً، وبأن المنجزات/ الفرص المتاحة محتاجة إلى مرحلة زمنية قبل بهتان أثرها.

في أيامنا الحاضرة، وفي مجتمعنا اللبناني، نشهد تجاوراً لمظاهر متضادّة وتعايشاً "سلمياً" بين إيديولوجيات متنافرة. لكننا نرصد، مع ذلك، ثباتاً في شيوع هوية الجديدة لدى نسائنا[7]. هذه الهوية التي شاع وجودها في الثمانينات، كما سبق وبيّنا، تتمثّل بتصوّر للذات غير محدود بالنموذج الأنثوي التقليدي. بل إن النساء في مجتمعنا،الشابات الجامعيات منهن تحديداً، ينحين لأن يتجاوزن ذلك النموذج، متبنيّات لذواتهن، إضافة إلى السمات الأنثوية التقليدية، سمات نفسانية ذكرية - تلك ارتسمت في أذهان الشباب الجامعي، نساء ورجالا، بكونها مرغوبة للرجال، في مجتمعنا، أكثر مما هي مرغوبة للنساء [8].

المسألة والأسئلة:

والسؤال الرئيسي الذي سوف تحاول هذه المقالة الإجابة عليه:

هل إن ملامح الصورة التي يحملها الشاب اللبناني لشريكته المستقبلية تشبه هويّة الشابة ، زميلته الجامعية؟

أي، ما هو النمط الجندري الغالب في تصوّرات هؤلاء الشباب لشريكاتهن؟ هل يشبه البروفيل التقليدي للأنوثة؟ هل يتجاوزه؟

---

[3] Op. cit.

[4] Tolson, A.,(19770, **The Limits of Masculinity: Male Identity and the Liberated Women,** Harper and Row, N.Y.

[5] أنظر تلخيصاً، بالعربية، لأعمال هؤلاء في :

[5] ع. ش. بيضون،(1988)، **الهوية النسائية الجديدة: دراسة ميدانية في التنميط الرباعي للشابات اللبنانيات**، رسالة ماجيستير غير منشورة، قسم علم النفس- كلية الآداب(1)، الجامعة اللبنانية. صص 47- 61، (متوفّرة في مكتبات علم النفس في الجامعة اللبنانية، وفي مكتبة نعمة يافث- الجامعة الأميركية، وفي مكتبة الجامعة اللبنانية الأميركية).

[6] ع. ش. بيضون، (1991) "الهوية النسائية الجديدة: دراسة ميدانية في تجاوز التنميط الجنسي لدى فئة من الشابّات اللبنانيّات"،(دراسة ميدانية)، ***العلوم الاجتماعية***، الجامعة اللبنانيّة، العدد الأوّل، ص. 153-186.

[7] ع. ش. بيضون،(2004)،" الشباب الجامعي في لبنان: الهويات والاتجاهات الجندرية (الثوابت والمتحوّلات)"، **المستقبل العربي**، العدد301 (آذار(مارس)، 2004)، صص. 30-41.

[8] ع. ش.بيضون،(1988)، المرجع نفسه في (5) صص 111-118.

هل نجد صلة بين النمط الجندري لصورة الشريكة، وبين الاتجاهات الجندرية التي يتبناها الشاب الجامعي ؟ فإذا ما كانت صورة الشريكة التي سيختارها الشاب، مثلاً، تشبه "المرأة الجديدة" كما تصف ذاتها، فهل يترافق ذلك مع اتجاهات جندرية غير عُرفية ؟ وهل العكس بالعكس؟ أم أن المسألتين غير مرتبطتين ببعضهما بعضاً؟

ماذا عن الشابة الجامعية؟ هل إن تجاوزها للمنمّط التقليدي قد أثّر على أسلوب تفضيلها للشريك العاطفي؟ وهل تشبه صورة ذلك الشريك الصورة التي يحملها الشاب الجامعي عن ذاته؟

العيّنة:

استعرض، في ما يلي، بعضاً من نتائج استطلاع أوّلي أجري في ربيع 2003 على عيّنة مناسبة convenient sample من طلاب وطالبات الجامعة اللبنانية الفرع الأول. وذلك تمهيداً لدراسة ميدانية قيد التنفيذ. ومن بعض انشغالات هذه الدراسة البحث عن ملامح البروفيلprofile الذي يحمله الشباب الجامعي اللبناني عن الشريك المستقبلي؛ والبحث، كذلك،عن أوجه التشابه والتنافر بين هذا البروفيل وبين صورة الذات الواقعية من فئة الشباب نفسها. ويهدف البحث أيضاً إلى رصد طبيعة العلاقة القائمة بين صورة البروفيل المفضّلة للشريك/ للشريكة ، وبين التعصب الجندري للشباب الجامعي.

وقد ملأ أربعة وثمانون من هؤلاء استبياناً يفيد في رصد مدى تحّليهم ، ووفق تقديرهم الشخصي، بسمات صنّفت في سلالم أربع: سلّم ل"الذكورة"، وثان ل"الأنوثة"، وثالث "حيادي"، ورابع "ذكورة – أنوثة".

فيما ملأ ثمانون طالباً وطالبة استبياناً يحتوي السمات / السلالم عينها يفيد في رصد الدرجة التي يرغبون تحلّي شريكهم المستقبلي بها.

وملأ كل هؤلاء- ومجمل عددهم مائة وأربعة وستون طالباً وطالبة جامعية- استبياناً يقيس اتجاهاتهم الجندرية.

أي أن العيّنة المذكورة جاءت على الشكل التالي:

ذكور		إناث	
عدد الذين ملؤوا استمارة صورة الذات	**عدد الذين ملؤوا استمارة صورة الشريكة**	**عدد اللواتي ملأن استمارة صورة الذات**	**عدد اللواتي ملأن استمارة صورة الشريك**
47	**37**	**33**	**47**

أداة البحث:

نتريّث عند هذا المفصل من عرضنا، لتعريف القارئ على الاستبيانات inventories- أدوا ت بحثنا- ومكوّناتها؛ وذلك كي يتسنى له فهم أفضل لما نقول ، وليتمكن من تعيين حدود صدقية validity النتائج التي حصلنا عليها عبر تحليل المعطيات الناجمة عن تطبيقها.

استبيان الهوية الجندرية: وهذا يتألّف من سلالم أربعة،واحد للذكورة وثان للأنوثة [9]، ثالث حيادي ورابع أنوثة- ذكورة. وفي دراستنا هذه، فإن "الأنوثة"، كما "الذكورة"، مركّبان إمبيريقيان empirical، يتألف كل منهما من مجموعة من السمات. ونحن حصّلنا السمات الشخصية التي تؤلفهما في اختبار

[9] هذان السلّمان، وبعكس الحال في القياسات التقليدية المعروفة في علم النفس، متعامدان perpendicular فلا تقع مكوّناتهما على قطبين متضّادين من متصّلcontinum واحد. فلا الأنوثة عكس الذكورة ولا الذكورة هي مضادة للأنوثة. وينطوي ذلك على فرضية وُصفت في أدبيات علم النفس بأنها نسوية، ومفادها أن الذكورة والأنوثة مفهومان مستقلّان عن بعضهما بعضاً، فيسع المرء، رجلاً كان أم امرأة، أن يكون متحلّياً بسمات الذكورة والأنوثة معاً. فلا تستبعد الحَضْنية nurturance من هوية الشخص إذا كان عدوانياً وبالدرجة ذاتها، ويسعه أن يكون ناشطاً ومتلقياً سواء بسواء. فتضاعفت، استناداً إلى ذلك ، الهويات الجندرية وتعقّدت ترابطاتها: فحيث كانت الاستبيانات السابقة تفرز هويّة منمّطة واحدة (أنثوية للنساء وذكرية للرجال)، وغير منمّطة واحدة (أنثوية للرجال وذكرية للنساء)، باتت الهويات، وفق التصنيفات الجديدة، غير منمّطة بطريقتين إضافيين هما الأندروجينيةAndrogeny (ذكورة وأنوثة مرتفعتان)، ولامتمايزة Undifferentiated (ذكورة وأنوثة منخفضتان). (المرجع المذكور في (7).

تمهيدي قامت فيه مجموعتان مستقلّتان من الطلاب والطالبات الجامعيين، باختيار سمات مرغوبة اجتماعياً، لكنها مرغوبة للمرأة أكثر مما هي مرغوبة للرجل لتشكّل معاً سلّم "الأنوثة"؛ وهي سمات تتمحور حول الحضن، (الحنان، محبّة الأطفال، التضحية، التفهّم، العاطفية)، والعلائقية، (التسامح، سعة الصدر، اللطف،)، وبعضها يضع الشخص في موقع متلقٍ،(هدوء، قناعة، محافظة على التقاليد، تواضع) ..... وغيرها من سمات تحمل وشياً أخلاقياً (الإخلاص، .....).

فيما اختارت مجموعتان ، وعلى نحو شبيه، سلّم "الذكورة" من سمات مرغوبة اجتماعياً، لكنها مرغوبة للرجل أكثر مما هي مرغوبة للمرأة. ويتألّف هذا السلّم من سمات ذهنية،(قدرة على تحليل الأمور، تنظيم في التفكير، ذكاء، إبداع، فصاحة في التعبير الكلامي)، وأخرى ناشطة،(شجاعة، طموح، قوّة، قدرة على المواجهة، استعداد للنجدة، تحدّي المشقات)، وثالثة تنمّ عن موقع الشخص المسؤول، (إنتاجية، تحمّل المسؤولية) إلخ

أما السلّم الحيادي فسماته مرغوبة للاثنين، الرجل والمرأة، بالدرجة ذاتها. ومن السمات التي تؤلّفه نذكر: الاستعداد للمساعدة، الكرم، التكيّف، التديّن إلخ.

وسلّم ذكورة – أنوثة يحوي السمات المرغوبة لواحد من الجنسين دون أن يكون مرغوباً به للآخر، ومن سماته نذكر: استعداد للمخاطرة، حب المغامرة،(للرجل دون المرأة)، وبراءة ، طاعة،(للمرأة دون الرجل) إلخ....

هذا، ويُطلب إلى المبحوث ، لدى ملء استبيان الهوية الجندرية أن يعيّن، على سلّم من درجات خمس، الدرجة التي تقوم كل واحدة من هذه السمات بوصف شخصيته؛ فيحصل، بذلك، علامة على كل واحد من هذه السلالم تسمح بتصنيفه، وفق قواعد إحصائية مختارة[10]، موقعه على خارطة الهويات الجندرية. فيكون الشخص، وبمعزل عن جنسه البيولوجي، إما أندروجينياً،(ذا ذكورة عالية وذا أنوثة عالية، في الوقت نفسه)، أو أنثوياً،(ذا أنوثة عالية وذكورة منخفضة)، أو ذكريًا،(ذا ذكورة عالية وأنوثة منخفضة)، أو لا متمايزاً،(ذا أنوثة منخفضة وذكورة منخفضة في الوقت نفسه).

أما استبيان الشريك/ الشريكة فهو مطابق تماماً لاستبيان الهوية الجندرية باستثناء التعليمات الواردة في أوله والتي تطلب إلى المبحوث تعيين الدرجة التي تقوم بها كل واحدة من السمات المذكورة بوصف المرأة/ الرجل شريكته/ شريكها المرغوب بها.

ولا يختلف قياس الاتجاه الجندري (أو التعصّب الجندري) عن أشباهه من قياسات الاتجاهات؛ وفيه نعتمد سلّماً من درجات خمس من أجل تعيين مدى الموافقة على بنود، هي بمثابة تصريحات عن أقوال شائعة تطول إلى مكانة، أدوار، سمات النساء والرجال، العلاقة بينهما والقيم والمعاني الملحقة بها جميعاً[11].

النتائج

أوّلاً:
الشريكة والزميلة: التشابه والتباين

---

[10] استخدمنا الوسيط median لمجموعة العلامات التي نالتها العيّنة نساء ورجالاً حداً فاصلاً بين "المرتفع" و"المنخفض" في كل واحد من سلّمي الذكورة والأنوثة.

[11] من بنود هذا الاستبيان، مثلاً، نكتب التصريحات الستة الأولى:

( ) 1. طبيعة المرأة غير متناسبة مع العمل السياسي،
( ) 2. ا يشعر الرجل بالنقص إذا شاركته المرأة بإعالة أسرتهما ،
( ) 3. العلاقة التي تنظمها القوانين الدينية بين المرأة والرجل صالحة في كل الأحوال ولكل الأزمان،
( )4. لا يبدو الرجل ناقص الرجولة لدى قيامه بالأعمال المنزلية،
( )5. طبيعة المرأة مناسبة لمهن معينة وغير مناسبة لمهن أخرى،
( )6. على البنت أن تبقى عذراء حتى الزواج، إلخ.....

في الجدول رقم (1) (الملحق) الذي يبيّن السمات التي يتمناها الشاب الجامعي لشريكته، بالمقارنة مع السمات التي تنسبها الشابة الجامعية لذاته نلاحظ أوجه الشبه في سمات كثيرة. وبأن الشَبَهَ المذكور لا يقتصر على السمات الأنثوية، بل وعلى الذكرية أيضاً، أي تلك المرغوبة للرجال في مجتمعنا أكثر مما هي مرغوبة للنساء. صحيح أن الشاب يتمنى أن تكون شريكته المستقبلية حضنية ،علائقية ، وذات مهارات تعبيرية ، بل هو يرغب أن تكون على قدر من السلبية/ التلقي أحياناً، لكنه يتمنى أن تكون فعّالة agentic، وأن تتسم بالأداتية instrumentality أيضاً.

على أن الشاب الجامعي في عيّنتنا ينحو، مع ذلك، لإسباغ سمات أنثوية على شريكته المستقبلية بدرجة تفوق ما تسبغه الشابة الجامعية على ذاتها، لعلّ أهمها سمتي الجمال والجاذبية. وهو في ذلك لا يشذ عن الرجال في العالم أجمع! إذ أن رغبة هؤلاء في امرأة جميلة وجذابة من الرغبات الأكثر ثباتاً[12] في الدراسات الغربية والعبر- حضارية cross cultural التي نفّذها الباحثون الغربيون في تفضيلات الذكور من الجنس البشري المتعلّقة باختيار شريكاتهم . هذا الثبات جعل الباحثين يفتشون عن ترابطات محتملة بين هاتين السمتين وبين الغرائز الضرورية لحفظ النوع البشري وتطوّره، المقدرة الإنجابية للنساء من بينها، أو أنها تُدرك من قبل الذكر على أنها كذلك. اللافت أن الرجال والنساء في عينتنا متساوون في عزْوِ درجات متوسّطة على سمتي الجمال والجاذبية لذواتهم.

هذا، ويتوقّع الشاب أن تكون شريكته بريئة ومطيعة؛ ولا فرق بين الدرجة التي يرغب الشاب ببراءة شريكته وبين الدرجة التي تعزو الشابة، زميلته، لنفسها هذه الصفة. المفارقة أنه يحمل صورة لذاته أقل براءة من الإثنين معاً: الشريكة والزميلة سواء بسواء. هذه الصفة هي، على كلّ حال، ليست مرغوبة في مجتمعنا للرجال. فيكون الشاب، بذلك، متماهياً مع المنمّط الذكري، غير مخالف لمتطلّباته. لكن الحال مع "الطاعة" مختلف. فالشاب يطلب الطاعة لدى الشريكة أكثر مما هي مطيعة. بل إنها تتساوى مع الشاب في جعل الطاعة من سماتها الأقل وصفاً لشخصيتها. هذه السمة، تماماً كالبراءة، مرغوبة للنساء دون الرجال. لكن الإثنين استبعداها لدى وصف ذاتيهما، وإن أبقاها الشاب سمة مرغوبة لشريكته المستقبلية.

هذا المعيار المزدوج يتجلّى، أيضاً، في سمات حيادية – مرغوبة للجنسين في مجتمعنا بالدرجة ذاتها؛ نذكر منها، على سبيل المثال، ما يحمل وشياً عُرفياً كالمحافظة على التقاليد، ، التديّن، أو أخرى أخلاقية كالصراحة والتمسك بالأخلاق ؛ هذه جميعاً مطلوبة من الشريكة بقدر ما الشابة تتحلّى بها، لكن أكثر بكثير مما يتحلّى الشاب بها.

ننظر، أخيراً، في السمات التي تجمّعت في الخليتين الأخيرتين من الجدول رقم (1). وهي سمات يرفضها الشاب في شريكته. وهذه، للتذكير، تتجمّع في فئتين:

الأولى، مرغوبة للنساء دون الرجال وهي القبول بالحظ والنصيب، الميل للانفعال والحساسية؛ والحال أن الشاب لا يحبّذ السمات من الفئة الثانية، لا لذاته ولا لشريكته. والثانية، على العكس من ذلك، مرغوبة للرجال دون النساء. إذ تجد الشابة أنها تحب المغامرة ومستعدّة للمخاطرة أكثر مما يرغب الشاب بكونها كذلك... هل يسعنا التخمين أن لهاتين السمتين "حب المغامرة" و"الاستعداد للمخاطرة" وشياً جنسانياً يجعلهما على تعارض مع رغبة الشاب العارمة ب"براءة" شريكته؟

والشابة تعزو لذاتها "حب المنافسة" و"الشعور بالتفوّق"، فيما يستبعدهما الشاب من أوصاف شريكته... هل تثير هاتان السمتان تهديداً لرفعة مقامه على جنس الإناث[13]؛ تلك الرفعة التي تضمنها له مكانته في النظام الأبوي القائم، وتوفّر شرطاً نفسانياً، بل ثقافياً، من شروط رجولته؟

---

[12] Buss, D.M. and Barnes, M.,(1986), "Preferences in Human Mate Selection", **Jour. of Personal. and Social Psycology** , 56(3), 559-570.

Eagly, A.H., and Wood,W.,(1999), The Origins of Sex Differences in Human behavior: Evovlved Dispositions versus Social Roles", **Am. Psychologist**, 54(6), 408-423.

[13] Clatterbaugh,K.,(1990),**Contemporary Perspectives on Masculinity: Men Women and Politics In Modern Society**, Westview Press,Oxford.

ومن السمات المثيرة للاهتمام نذكر "الاعتماد على الذات" و"الاستقلالية" . وفي المصنّفات المبنيّة على تصريحات الشباب الجامعي في أواسط الثمانينات[14] أن الأولى من سمات الذكورة، فيما الثانية مرغوبة للرجال دون النساء، (سلّم ذكورة- أنوثة، أنظر أعلاه). ومع أن الشاب الجامعي قد عزا ست عشرة سمة ذكرية لدى وصفه شريكته، فهو رفض عزو "الاعتماد على الذات" لها، وجاءت الدرجة التي يرغب بها لأن تكون هذه الشريكة "معتمدة على ذاتها" أقل مما هي، واقعاً. ونحن نرى أن الاستقلال والاعتماد على الذات، وبعكس السمات الذكرية الأخرى، تسلبان الصورة الأكثر ثباتاً عن المرأة (وهي هنا الشريكة، تحديداً) في مخزوننا الثقافي أحد أهم مكوّناتها، نقصد بالطبع "تبعيتها" لرجل ما، هو الشريك في هذه الحالة. فلا فائدة ترجى لا من استقلالية ولا من اعتماد على الذات، لدى الكلام عن تفضيل لسمات الشريكة.

نكتفي بهذا القدر من النظر إلى سمات الشريكة، والبحث عن علاقتها مع صورة الذات، وننظر، في ما يلي، إلى البروفيل الجندري بكليّته:

	أندروجيني ↑ (F) & ↑ (M)	أنثوي ↑ (F) & ↓ (M)	ذكري ↑ (M) & ↓(F)	لامتمايز ↓(M) & ↓(F)	ذي ذكورة مرتفعة* ↑ (M)	ذي أنوثة مرتفعة* ↑ (F)
النسبة المئوية للطلاب الذين اختاروا شريكة من نمط جندري:	**24.2**	**42.2**	**9.1**	**24.2**	**33.5**	**66.6**
النسبة المئوية للطالبات بحسب صورة للذات من نمط جندري:	**50**	**17**	**10**	**23**	**50**	**67**

* نشير إلى أن الوسيط الذي اعتمد هنا لتصنيف الذكورة والأنوثة المرتفعتين احتسب في مجمل العيّنة من الطلاب والطالبات الذين ملؤوا استمارة الشريكة / الشريك على التوالي. وهو مختلف، إذاً، عن الوسيط المذكور في الهامش رقم (11).

يفيد تفحّص الجدول أعلاه أن نسبة الشابات الأنثويات- أولئك اللواتي يعزون لذواتهن سمات أنثوية بدرجة عالية ويستبعدن، في الوقت نفسه، السمات الذكرية – هن أقلية؛ بل إن نسبتهن مرشّحة للتراجع مع الوقت[15]. لكن نسبة الطلاب، زملائهن، الذين يفضّلون الشريكة الأنثوية هي الأكبر. المرأة الأنثوية هي الأكثر تفضيلاً (إحصائياً) من بين الأنماط الجندرية الأربعة.

هذا، ومن بين هذه الأنماط تسود الفئة الأندروجينية على الفئات الأخرى سيادة مطلقة (50% من الطالبات يحملن صورة ذات أندروجينية)؛ فيما لا تتعدّى نسبة الرجال الذين يرغبون بهن شريكات لهم ال24%!

هذا التباين بين "العرض" و"الطلب" بما يطال النمط الجندري للنساء ...هل ينطوي على احتمالات من اللاتواصل العاطفي بين الجنسين في فئة الشباب الجامعي؟

تستدعي محاولة الإجابة على هذا التساؤل الرجوع إلى الدراسات التي تناولت الأندروجينية واحداً منها. وقد بيّن الباحثون أن الشابة الأندروجينية يسعها، مثلاً، أن تتكيّف مع وضعيات مختلفة: فيسعها الاستجابة لوضعية أنثوية على نحو أنثوي، ومقاربة وضعية ذكرية بسلوك ذكري مناسب، وبالكفاءة ذاتها[16].

فإذا ما افترضنا أن وضعية اختيار الشريكة تثير سلوكاً أو استعداداً أنثوياً لدى النساء، يسعنا أن نفترض، وفق ما قلنا أعلاه، بأن البعد الأنثوي لدى الشابة الأندروجينية سيكون الأكثر بروزاً فيها، وبأن

[14] الدراسة المذكورة سابقاً في (6).
[15] المصدر المذكور سابقاً، في (8).
[16] Bem, S.,(1975), " Sex Role adaptability: one Consequence of Psychological Andrgeny", **Jour. of Personaliy and Social Psychology**, 31(4), 634-643.

البعد الذكري سوف يتراجع للسبب نفسه ؛ خاصة، إذا ما تلقّت الشابة إشارات ضمنية أو صريحة برغبة الشاب النفسانية لدى النساء المعاصرات بشكل خاص. هذه الدراسات كانت تبيّن، على الدوام، تفوّق [17] هذا النمط الجندري، على ما عداه، في مؤشرات مختلفة، التوافق النفساني psychological adjustment تلك، فتصبح الرغبة هذه من مكوّنات الوضعية تلك مستدعية بروز "انوثتها" و"كمون" "ذكورتها" في الوقت نفسه. هذا الميل للتأقلم مع وضعية "زواجية" هو سمة نسائية بامتياز، تبدأ الأنثى بالتدرّب عليها في فترة المراهقة وترافقها حتى الرشد، فترة اختيار الشريك تحديداً [18].

لكن يبقى أن 66% من الطلاب الجامعيين في عيّنتنا اختاروا شريكة مستقبلية ذات ذكورة منخفضة، فيما 60% من زميلاتهم الجامعيات يتمتعن بذكورة مرتفعة؛ أي، أن نسبة النساء ذوات الذكورة العالية هي تقريباً ضعف نسبة الرجال الراغبين بها لشريكاتهن. ونحن أثبتنا أعلاه بأن الشاب الجامعي لم يستبعد السمات الذكرية عن بروفيل شريكته. لكن الاختلاف في النسب هذه مصدره **درجة** ذلك العزو.

هذا، وقد وثّقت بعض الدراسات [19] ميل الطالبات الجامعيات للمبالغة في عزو السمات الذكرية لذواتهن، بالمقارنة مع فئات نسائية أخرى أو حتى بالمقارنة مع الطلاب الجامعيين. وهي يشير إلى أن الطالبات إنما يفعلن ذلك لأن أدوارهن كطالبات جامعيات تفترض أداتية وفعالية، بل وهيمنة وتنافسية (وهاتان الأخيرتان غير مرغوبتين للنساء) وغيرها من سمات تعزى إلى الذكور أكثر من الإناث، وبأن السلوك الذكري في هذه الوضعية لا يضعف من جاذبيتهن الجنسية. هذه النتائج خاصّة بالطالبات الجامعيات لأن الدراسات السابقة، تلك التي تعتمد منظوراً تطورياً [20] خاصة، تبيّن أن النساء اللواتي يتمتعن بسمات الذكورة هن شريكات غير مرغوب بهن.

هذا، ونحن نرى أن من بعض أسباب ارتفاع ذكورة الطالبات الجامعيات في عيّنتنا، إضافة إلى ما سبق، يتمثّل بكون الجماعة المرجعية reference group [21] (وهي مؤلفة، على الأرجح، من نساء في المحيط الأسري لهؤلاء الطالبات متبوّئات مكانات تقليدية) التي يعتمدن من أجل تحديد هوياتهم الجندرية بالمقارنة معها، تُدرَك على أنها اقلّ ذكرية منهن؛ وهو ما يؤدّي إلى المبالغة المذكورة.

ثانياً: الشريك غيرالزميل

تشير النظرة الأولى على الجدول رقم (2) إلى أن بروفيل الشريك الذي يرتسم في أذهان الشابة الجامعية أكثر ذكورة من صورة الذات التي يحملها زملاؤها لذواتهم؛ ويبدو هؤلاء "مقصّرين" عن اللحاق بمتطلّبات الشابة "الجامحة". فلا نجد سمة واحدة على السلالم الثلاثة،(ذكورة، أنوثة، حيادي)، يتحلّى بها الشاب الجامعي بدرجة أكبر من الدرجة التي حددتهاالشابة لشريكها المستقبلي! بل تراها، وعلى العكس من ذلك، ترغب بشريك "كامل الأوصاف" جميعها:

فهو شجاع، قادر على المواجهة، قوي، واثق من نفسه، يتحدىّ المشقات والضغوط، قادر على اتخاذ القرار،قادر على الاحتمال.... أي مقدام، بل جسور، أكثر بكثير (إحصائياً) مما ينسب الإقدام والجسارة لذاته. ثم إنها تعزو إليه الذكاء،الإبداع،التنظيم في التفكير، الفصاحة في التعبير... وكلّها سمات ذهنية عالية لا يدّعي الشاب أنه يمتلكها بالدرجة المطلوبة.

---

[17] Whitely, B.E.jr.,(1983), "Sex Role Orientation and Self Esteem: A Critical Meta- Analysis Review", **Jour. of Personaliy and Social Psychology**, 144(4), 765-778.

[18] Maccoby, E.E.,(1998), **The Two Sexes: Growing Apart, Coming Together**, The Belcap Press, London, pp195-200.

[19] Sadallah,E.D., Kemrick,D.T., Vershure,B.,(1987)," Dominance and Heterosexual Attraction", **Jour. of personality and Social Psychology**, 52(4), 730-738.

[20] Buss, D.M.,(1984), " Evolutionary Bioloy and Personality Psychology…"**, American psychologist**, 40, 147-154.

[21] المصدر المذكور سابقاً في(8).

هذا، وبالرغم من أن الشابة الجامعية قيد التحضير لمهنة ما والتمتع بالاستقلال الاقتصادي، تالياً، فهي لا تشذّ عن النساء في كثير من الثقافات الاجتماعية[22] التي درسها الباحثون الغربيون، فهي ترغب بشريك مستقل، يتحمل المسؤولية، يعتمد على ذاته،(السمتان الأخيرتان غير متوفرتان لدى الشاب بالقدر المطلوب)؛ هل يسعنا الاستنتاج أن الشابة الجامعية تفضّل في شريكها من السمات ما توفّر شروط كونه مُعيلاً ؟ الخاصية التي تكاد أن تتماثل مع الذكورة في كل المجتمعات، مجتمعاتنا المتوسّطية، بخاصة[23]؟

على السلّم الحيادي، نجد توازناً أكبر بين "العرض" و "الطلب" باستثناء سمات قليلة. من هذه نذكر الضمير الحي والصراحة . فإذا أضفنا إليها القناعة والإخلاص (أنثويتين) – والأخيرة "مطلوبة" أكثر مما هي "معروضة"- هذه الكوكبة من السمات هل تحيل من طرف خفي،(أو صريح، لدى المدافعين عن تعدد الزوجات)، على اتجاه يُعزى للرجال في مجتمعنا، ويتمثّل بالميل إلى الرغبة بأكثر من شريكة عاطفية؟ هل الشابة الجامعية ترغب بشريك يتمتع بسمات نفسانية مناقَضة لشروط مشاركتها الرجل مع شريكة أخرى؟

ومن السمات التي لا تحبّذها الشابة في شريكها نذكر الميل للعدوانية والسيطرة والاستعداد للمخاطرة (وكلّها مرغوبة للرجل دون المرأة)، والطاعة والحساسية والحياء والميل للانفعال والاعتراف بالضعف(وكلّها مرغوبة للمرأة دون الرجل). وكلّها، (باستثناء الاستعداد للمخاطرة) يعزوها لذاته قليلاً. ويبدو وكأن الاثنين متفقان على أن الشطط الجندري غير مرغوب به ويستبعدان عن الشريك، وبحدّة، تلك السمات المرفوضة اجتماعياً لجنسه.

ونشير إلى مجموعة أخرى يرغبها كل واحد من الطرفين في الشريك أكثر مما تصفه: الأناة والتفهّم والصبر والتواضع..... والشاب الجامعي، تماماً كالشابة الجامعية نال علامات منخفضة على هذه السمات وإن عزا لذاته علامات أكثر تدنياً من الشابة عليها. هذه السمات تنطوي عل إيقاع لا يناسب، برأينا، المهام المطروحة في الأجواء الجامعية، وهو ما يجعل الإثنين غير مهتمّيْن، ربما، ب"امتلاكها". ولعلّها من السمات المكامِلة التي يرى كل منهما بأنها ضرورية لكنه يترك أمر التحلّي بها للشريك.

يشير التحليل الوصفي للمجموعات المختارة أعلاه من السمات إلى ملاحظة أوّلية مفادها بأن تفضيل الشابة لشريكها هو منمّط إلى حدّ غير قليل. لكن النظر في النمط الجندري gender type للفئات الأربع يبيّن صورة أكثر تعقيداً:

	أندروجيني ↑ (F) & ↑ (M)	أنثوي ↑ (F) & ↓ (M)	ذكري ↑ (M) & ↓(F)	لامتمايز ↓(M) & ↓ (F)	ذي ذكورة مرتفعة ↑ (M)	ذي أنوثة مرتفعة ↑ (F)
النسبة المئوية للطالبات اللواتي اخترن شريكاً من نمط جندري:	**30**	**7.5**	**35**	**27.5**	**65**	**37.5**
النسبة المئوية للطلاب بحسب صورة	**23**	**12**	**21**	**44**	**45**	**33**

[22] Eagly, A.,and Wood,W.,(1999), "The Origin of Sex differences in Human Behavior….", **American Psychologist**, 54(6), 408-423.

[23] Gilmore, D.D.,(1990), **Manhood in the Making: Cultural Concepts of Masculinity,** Yale University Press, New Haven and London.

للذات من نمط جندري:						

إن المبالغة التي تسم أسلوب الشابة في وصف ذكورة شريكها المستقبلي، والتي رصدنا أعلاه في التحليل الوصفي لتلك السمات، نراها تتكرر في الجدول الذي يبيّن توزّع الطالبات، بحسب تفضيلاتهن للنمط الجندري لشركائهن، بالمقارنة مع توّزع الطلاب، بحسب هوياتهم/ تصورّهم لذواتهم الجندرية. إذ اختار حوالي ثلثي الشابات شركاء بذكورة مرتفعة، فيما يصف أقلّ من النصف من الطلاب ذواتهم كذلك.

نتساءل، ما هي أسباب المبالغة هذه؟

هل هي ناجمة عن أسلوب في الاستجابة استثاره الاستبيان؟ نتكلّم عن الميل المعروف بالمرغوبية الاجتماعية social desirability والذي يقع تحت وطأته المبحوثون في الاستبيانات الشبيهة فيجتهد الباحثون للعمل على تحييد أثره. فلو كان الاستبيان مسؤولاً عن استثارة ذلك الميل، لكان سيكون أثره معمماً أي، لكنا وجدناه لدى الطلاب من المبحوثين كما لدى الطالبات. وكان سيكون الحال شبيهاً بالنسبة للأنوثة العالية المطلوبة من الشريك، خاصة وأن نسبة عالية من النساء عَزَوْن علامات عالية لذواتهن على ذلك السلّم. لكن الشابة الجامعية لم تبالغ في عزو السمات الأنثوية لشريكها كما نتبيّن في النظر إلى الجدول (1)؛ فنسبة الشباب ذوي الأنوثة العالية قريبة من نسبة الشابات اللواتي يرغبن بها لشريكهن.

لعلّ ظاهرة المبالغة هذه هي بنتيجة أكثر من عامل:

- لاحظنا، أعلاه، أن صورة الذات لهذه الشابة تنحو لأن تكون مشبعة بذكورة عالية. فإذا كانت الشابة ترغب بشريك ذكري، أسوة بالنساء عامة[24]، فهي سوف تعزو لهذا الشريك علامات عالية على سلّم الذكورة جملة وتفصيلاً، بحيث يكون ذكرياً بدرجة مساوية لذكورتها، على الأقل ّ[25]. صحيح أن عيّنة الشابات اللواتي اخترن الشريك هي غير العيّنة التي ملأت استمارة صورة الذات الجندرية، لكن عزو الذات بذكورة عالية هي، وكما سبق وقلنا، ظاهرة نسائية وثّق لتواتر حدوثها باحثون غربيون، وتصف شاباتنا بحسب أكثر من دراسة[26]. من هنا، فإن المبالغة ليست كذلك إذا قارنّاها بصورة المرأة لذاتها.
- تشير الدراسات التي اهتمت بموضوع اختيار الشريك لدى الإنسان إلى عوامل تكاد تكون ثابتة في أكثر المجتمعات المدروسة. من هذه أن المرأة تفضّل رجلاً يكبرها سناً، وأن الرجل يفضّل امرأة تصغره سناً. هل إن الشابة الجامعية لم تكن تصف زميلها الجامعي؟ هل كانت تصف رجلاً أكبر سناً مشى شوطاً أبعد في تحقيق ذكورته، فيبدو الشاب الجامعي، بالمقارنة مع الشريك المرغوب به، قاصراً عن ذلك التحقيق؟
- يبقى أن مكوّنات الذكورة تحيل إلى وضعية كان فيها دور الذكر مكاملاً لدور المرأة . وقد وجد إيغلي ووود [27] لدى إجرائهما تحليلاً بَعْدياً meta-analysis لدراسات في هذا الموضوع..... وجدت تراجعاً لأهمية الرجل الشريك مُعيلاً أو أكبر سناً متناسباً مع ارتفاع مؤشّرا الجندر في التنمية Gender-Related Development Index، وقياس التمكين الجندري Gender Empowerment Measure المعتمديْن لدى الباحثين في منظمات الأمم المتحدة لقياس تقدّم أوضاع المرأة في المجتمعات. فإذا كان الحفاظ على النوع البشري تضمّن تقسيماً للأدوار بين النساء والرجال من أجل التكثير إلى المدى الأقصى maximize المؤدي إلى خلق شروط ذلك الحفاظ (الإعالة الاقتصادية وشروطها لدى

---

[24] Ickes, W.,(1993)," Traditional Gender Role: Do They Make, and Then Break, our Relationships?", **Jour of Social Issues**, 49(3), 71-85

[25] كانت سيمون دو بوفوار قد أشارت في كتابها **الجنس الآخر** إلى ميل لدى المرأة للإعلاء من شأن شريكها، وخفض ذاتها في الوقت نفسه، لأنها تفترض بأن هذا الإعلاء، وذلك الخفض، ضروريان لتعزيز شعوره بفحولته الجنسية.

[26] المرجعين المذكورين في (5) و(6).

[27] Eagly,W. and Wood,W.(1999)," The Origin of Sex Differences in Human Behavior: ` Evolved Dispositions Versus Social Roles", **American Psychologist**, 54(6), 408-423.

الرجال، والصحة والمقدرة الإنجابية المرتبطتين بصغر السن لدى النساء) ، فإن استمرارها، بالرغم من تراجع ضرورتها، لا يعدو كونه استمراراً لإيديولوجيا تفقد، تدريجياً، قاعدتها المادية، لكنها تستمر، أسوة بكل الإيديولوجيات، زمناً أطول بكثير من مسوّغ وجودها.

نشير، أخيراً، إلى أن 35% من الشابات حبّذن تحليّ الشريك بأنوثة عالية. والحال أن بعض الدراسات التي أجريت في الثمانينات [28] بيّنت أن درجة عالية من الأنوثة لدى الرجال، (والنساء)، في الكوبل مرتبطة إيجاباً مع رضا زواجي عالٍ. ومن التأويلات التي قدّمها الباحثون أن وضعية الشراكة العاطفية تستثير، لدى الجنسين، ترابطات رومانسية؛ وأن هذه الأخيرة أكثر ارتباطا بميول الإثنين، نساءً ورجالاً، الأنثوية (التعبيرية، االعلائقية، الحضنية) من الذكرية.

هل إن الطلب إلى الشابة وصف شريكها المفضّل، يحيلها إلى تلك الوضعية ويطلق التداعيات associations المتعلّقة بمكوّنات الأنوثة تلك؟ إن ما قيل يصح على 35% من هؤلاء.

لعلّ الغالب، في ظل الأوضاع الاقتصادية والديمغرافية المعروفة [29] عندنا، هو استواء دلالة الشراكة بالنسبة لهؤلاء تدبيراً حياتياً ، لتغدو الرومانسية، بإزائه، ترفاً؛ فيرتفع تفضيل الذكورة – الأداتية والفعالية- ويتراجع "الطلب" على الأنوثة، حتى حين يكون الإثنان مفهومين مستقلّين، غير متعارضين، كما هي الحال في الخلفية المفاهيمية والتعبيرات الإجرائية التي تحكم أداة البحث المستخدمة هنا.

ثالثاً: خلاصة واستنتاجات

الشباب الجامعي اللبناني لم يعد منمّط الهوية. لكن أسلوب النساء في تجاوز التنميط الجندري يختلف عن أسلوب زملائهن؛ فحيث تتمدد هوية الشابات الجندرية لتضم إليها السمات المرغوبة للنساء وللرجال في مجتمعنا، فإن الرجال زملاءهن يميلون للإقلال من التشبّه بأي منها.

لكن التجاوز المذكور لم ينعكس على اختيار الشريك، لا لدى الطالبات ولا لدى الطلاب: أكثر الرجال يميلون لتفضيل شريكة أنثوية، وأكثر النساء يملن لتفضيل شريك ذكري.

أي، لا يزال البروفيل المرغوب اجتماعياً للمرأة الأصلح لوصف الشريكة،

ولا يزال البروفيل المرغوب اجتماعياً للرجل الأصلح لوصف الشريك.

نذكّر أننا نَصِفُ التفضيل لا الواقع. وقد وثّقت دراسات تعنى برصد التفضيلات في مجال الشراكة العاطفية نمطاً لا يختلف كثيراً عمّا تشير إليه نتائج استطلاعنا الأوّلي. ويرى بعض الباحثين بأن انجذاب المرأة الأنثوية والرجل الذكري إلى بعضهما بعضاً هو الأكثر حدوثاً برغم تنبؤ بعضهم بوجوب تراجع ذلك النمط من الانجذاب مع تراجع تقسيم الأدوار الجندرية؛ بل إن عقد الشراكة بينهما، لا التفضيل فحسب، هو، بحسب بعض الدراسات، الأكثر تحققاً من بين الأنماط الجندرية الأخرى. لكن، ما يأسف له الباحثون الذين نفّذوا دراسات طولية longtitudinal تتبعت مسار تلك الشراكة هو كون هذا النمط من الشراكة هو الأكثر عرضة للفسخ [30].

لماذا؟ يعتقد آيكس[31]، مثلاً، بأن انجذاب طرفي الكوبل المنمّطين هو النموذج الشراكي الأكثر ملاءمة لمستلزمات البقاء لدى الجنس البشري. ولمّا باتت الشراكة بين الجنسين في هذا العصر مدفوعة برغبات وعوامل أكثر تعقيداً من حاجات البقاء ومستلزماته، فإن الانجذاب الأكثر بدائية مرشّح للتراجع

---

[28] Lambke, L.,(1989), "Marital Adjustment Among Rural Couples: the Role of Expresiiveness", **Sex Roles**, 21,579-590.

[29] يتباين تقدير نسبة (الرجال: النساء) الموجودين في لبنان ،والذين هم في مدى عمر الزواج (بين 25 و35 سنة)، وبحسب الديمغرافيين، بين (رجل لكل ثلاث نساء) وبين(رجل لكل 6 نساء)!

[30] Same as (24)

[31] Ibid.

فور "استهلاك" الأسباب الغرائزية لحدوثه : مقدّمات الإنجاب والتمثّلات النفسانية المتعلّقة به (الجاذبية الجنسية، بشكل خاص)، والتي باتت لا تستغرق سوى جزء من حيوات النساء والرجال، لا مشروعاً يمتد على مساحتها برمّته. والمفارقة التي يعيشها الناس، حالياً، تتمثّل بالتعارض بين ثقافة الماضي والاستعداد التي توفّرها لنا جيناتناgenes من جهة، وبين واقعنا وما توصّفه وتوفّره لنا الثقافة الاجتماعية المعاصرة، من جهة ثانية.

نتائج الاستطلاع الأوّلي هذه محصورة بالعيّنة المناسبة التي توفّرت لنا، ومحدودة بالأدوات المستخدمة. لكنها تشير، على كلّ حال، إلى أن الفئة الأكثر حساسية للتحوّلات المادية والإنسانية- طلاب الجامعة- لا تزال غالبيتها مثبّتة fixated، وفي ما يطول إلى تفضيلاتها المتعلّقة بشراكتها العاطفية، على تصوّرات للشريك لم تتبدّل برغم تبدّل الواقع، الإنساني منه بخاصّة.

هذه التبدّلات تتمثّل بتجاوز المنمّطات في الهويات الجندرية على ما رصدنا. هذا التجاوز، وهو ماثل أمام الطلاب الجامعيين على نحوٍ يصعب تجاهله، لماذا لم ينعكس على تفضيلات الأكثرية من الطلاب الجامعيين؟ أم أن التفضيل الذي أبداه ربع الطلاب الجامعيين لشريكة أندروجينية هو من علائم التنبّه لهيمنة هذا النمط الجندري على الهويات النسائية وإشارة بدئية مرشّحة للتوسّع مستقبلاً؟

يؤكّد الباحثون في علم النفس الاجتماعي إلى أن عقد الشراكات العاطفية، وتفضيل الشريك ضمناً، لا يتمّان خارج السياق الثقافي/ الإيديولوجي أو السياسي أو الاقتصادي. فيما يميل السيكولوجيون، المتأثرون بنظريات التحليل النفسي منهم بخاصة، إلى عزو الاختيار المذكور إلى ميول لاواعية وتصوّرات مرتبطة، على الأرجح، بتاريخ شخصي من الصعب التعميم بشأنها بالاستناد إلى تبدّلات طافية على سطح الواقع الاجتماعي.

لم يتسنّ لنا الاطّلاع على دراسات عربية تشير إلى انعطاف نوعي في أساليب اختيار الشريك. نشير، في هذا الصدد، إلى دراسة منى فيّاض [32] التي أرّخت فيها لشراكات عقدت بين النساء والرجال في فترة كان الشباب الجامعي بلادنا يعيش مرحلة صعود المدّ الوطني/ التحرري،(في الستينات والسبعينات من القرن الماضي)، زمن إحساسِه بإمكانية تحقيق مشاريعه الخاصة والعامّة، حين عاش إمكانية امتلاك زمام أموره بيديه، ..... في ذلك الزمن بدا اختيار كل من الرجل والمرأة شريكاً عاطفياً مساوياً له، غير "ملتزم" بالتنميط الجندري ، يسعه إقامة علاقات متكافئة، مع الآخر، حرّة من القواعد والتنميطات التقليدية .....بدا ذلك الاختيار متناغماً مع الزمان والمكان، غير متنافر معه. وإذا ما التفتنا إلى ما قبل ذلك، إلى زمن نهضوي شبيه في وعوده التحررية، وحيث كتب قاسم أمين في كتابه **تحرير المرأة**، وصفاً للمرأة الشريكة متساوية مع الرجل في الاهتمامات والثقافة وفي حمل المسؤولية الاجتماعية، لا لأنثى متلقّية لرغبات الشريك، ومربّية لذريّته فحسب. وحيث يسمح ذلك الوصف برصد تبدّل نوعي، في هذا المضمار، متناسب مع الفترة الزمنية التي تفصل بين الفترتين....

وهو ما يدعونا للتساؤل:

لماذا لا نجد في المحطّة الزمنية الحالية نُقلة نوعية على منوال النقلة بين عصر النهضة، أوائل القرن الماضي، وبين ما شاهدنا في ستينات وسبعينات القرن الماضي؟

هل إن الميل الغالب في اختيار شريك منمّط، يشبه الصورة التقليدية للمرأة والرجل اكثر مما يشبه النساء والرجال الواقعيين، والذي رصدنا لدى فئة من شبابنا هو، قياساً على ذكرنا أعلاه، من علامات إحباطات الشباب ، والتي يكثر الكلام عنها في الخطاب العام؟

---

[32] منى فيّاض، (1994- 1995) ، "الكوبل- نمط آخر من الزيجات في بداية السبعينات: نظرة مغايرة للذات والتقاليد"، **باحثات**، الكتاب الأول، صص 47-74.

هل هو مبيّنة indicator من مبيّنات أخرى،(صحوة الأصولية الدينية، مثلاً عليها)، على نكوصهم إلى عالم التقليد المطْمئنّ والمطَمئِنْ القابل للإحاطة والسيطرة بديلاً عن العالم الواقعي الذي يمعن في فرض أحّادية مرجعيته مهمّشاً، بذلك، أكثرية شبابنا على أكثر من صعيد؟

أم أن ذلك الميل لا يعدو كونه تعبيراً عن تأخير الاتجاهات عن الواقع تأخّراً متوقعاً.... وذلك اتساقاً مع واقعة أن كل ما يتعلّق باتجاهاتنا، بمعتقداتنا وبمشاعرنا - تفضيل الشريك في قلبها- مرشّح للمراوحة والبقاء زمناً أطول بكثير من مسوّغاته الواقعية؟

إن وجهة الاتجاهات الجندرية لدى هذه الفئة من الشباب مرشّحة للإجابة على بعض هذه الأسئلة. إذ أن تواتر المواقف العُرفية من أدوار النساء والرجال في المجتمع، والتشبث بالمعتقدات بشأنها، ومناهضة السلوكات المفضية إلى تعديل السياسات والقوانين والتدابير المؤسسية وفق التحوّلات التي طالتها ... هذه المواقف ترتبط، برأي بعض الباحثين [33]، بشخصيات دفاعية تسلّطية authoritatian ، أي "مهزومة" في واقعها، والعكس بالعكس. وذلك لأن التعصّب الجندري ينتمي لطائفة التعصّبات جميعاً: العرقي، الإثني، الديني، العُمري.... وهو بعض ما أشارت إليه نتائجنا لدى تحليلنا للعلاقة القائمة بين الهويات والاتجاهات الجندرية عند هذه الفئة من الشباب اللبناني[34]. فهل يخضع اختيار الشريك للاعتبار ذاته؟ هل إن تفضيل شريك منمّط يرتبط بمواقف عُرفية تجاه أدوار النساء والرجال؟ وهل العكس بالعكس؟

لا تشير تحليل نتائج استبيان الاتجاهات الجندرية الذي اعتمدنا إلى وُجهة واضحة بهذا الشأن: الرجال والنساء انقسموا بإزاء هذه المسألة انقساماً جنسياً، لا تبعاً لنمط الشريك الجندري الذي اختاروه. فالطالبات أكثر تحرراً بكثير من المنمّطات الجندرية من زملائهم الطلاب، وأقل قبولاً بالأدوار التقليدية للرجال والنساء، أو لمترتباتها القانونية والموقعية إلخ. وينطبق ذلك في المجالات كلّها التي تغطيها بنود الاستبيان: الخاص، العام، العلاقات الجندرية . وحيث إن تفضيل الطالبة لشريك منمّط لم يجعلها أقلّ تحرراً من هذه المنمّطات أو أكثر قبولاً بالأدوار الاجتماعية التقليدية . ويمكن تكرار القول نفسه، تقريباً، بالنسبة للطلاب.

نشير إلى أن فئة الطلاب الذين فضّل أفرادها شريكات لا متمايزات.... هؤلاء أبدوا تعصّباً أقل من غيرهم من الفئات الجندرية الأخرى من الطلاب الذكور، (لكنهم متعصبون أكثر بكثير من الطالبات الإناث في العيّنة). اللافت أن الطلاب من الفئة اللامتمايزة هم الأكثر تعصّباً من بين الأنماط الجندرية الأربعة! وهو ما يشير إلى أن عزو السمات للذات يخضع لآلية مختلفة عن إسناد السمات إلى الشريكة. يبقى أن هذه الفئة قليلة العدد، لا يتجاوز عددها الثمانية، فينبغي قبول هذه النتيجة بحذر.

هذا الاستطلاع الأوّلي حول تفضيلات الشراكة، وعلاقتها بتصورات الذات، كانت الغاية من إجرائه صياغة إجابات أوّلية (فرضيات) على أسئلة طرحناها في سياق البحث عن تجليّات الذكورة والأنوثة لدى شبابنا. ونتائجه إشارات/ مفاتيح تسمح ببعض الإجابات. لكن النتائج التي حصلنا عليها انطوت على أسئلة إضافية.

أليس هذا ما تفضي إليه الأبحاث عن البشر؟ تحصيل إجابات قليلة وطرح أسئلة لا تنتهي؟

[33] Peterson, B.E., Doty,R.M.,Whitner,D.,(1993)," Authoritarianism and Attitudes Toward Contemporary Issues", **Personality and Social Psychology Bulletin**, 19, 174-184,(p136), cited in

[34] نفس رقم (8).

ملحق

جدول رقم (1) بالسمات التي يحبّذ الشاب الجامعي أن تتصف بها شريكته المحتملة موزّعة على السلالم الأربعة:

سمات الشريكة (كما يصفها الشاب الجامعي)	سمات يحبّذها الشاب لشريكته **بنفس الدرجة*** التي تعزوها الشابة لذاتها	سمات يحبّذها الشاب لشريكته **أكثر*** مما تعزوها الشابة لذاتها	سمات يحبّذها الشاب لشريكته **أقل*** مما تعزوها الشابة لذاتها	سمات **لا يحبّذها**** الشاب لشريكته
على سلّم الذكورة	شجاعة، فصاحة، ميل إلى تحليل الأمور، ثقة بالنفس، تحمّل المسؤولية، ذكاء، قدرة على اتخاذ القرار، قدرة على الاحتمال، تحدّي المشقات، تحدّي الضغوط، استعداد للنجدة.	تنظيم في التفكير، إبداع، نشاط، قدرة على المواجهة،	طموح، اعتماد على الذات.	قوّة.
على سلّم الأنوثة	تضحية، تسامح، حنان، تعبير عن المشاعر، محبّة الأطفال، قناعة، هدوء، تهذيب، تواضع، إخلاص، عاطفية، لطف، ميل لخدمة الآخرين، ترتيب.	جاذبية، جمال، صبر، تفهّم، سعة الصدر		
على السلّم الحيادي	استعداد للمساعدة، ثبات في الطباع، ضمير حي، تحسس لحاجات الآخرين، تكيّف، حسن التواصل، واقعية، تديّن، مثابرة، دقّة، كرم، صراحة، تمسّك بالمعايير الأخلاقية، ميل للمرح، دفاع عن المعتقدات			
على سلّم ذكورة-انوثة	براءة		استقلالية، حب المنافسة، حب	استقلالية، حب المنافسة، ميل للعدوانية، إمكانات لأن تكون قائدة،

		طاعة	المغامرة.استعداد للمخاطرة، شعور بالتفوّق، قبول بالحظ والنصيب، ميل للانفعال، حساسية.	شعور بالتفوّق، سيطرة، استعداد للمخاطرة، ميل للّهو، حب المغامرة، اهتمام رياضي، اعتراف بالضعف، غنج، ميل لإظهار الانفعال، قبول بالحظ والنصيب، حساسية.

*في كل هذه المقالة نستخدم "نفس الدرجة"،" أكثر"، "أقل"، بالمعنى الإحصائي، ونعتمد مستوى دلالة p= 0.01 فما دون.

** تصنّف السمة "غير مرغوبة" إذا جاء المتوسّط الحسابي لمجموعة العلامات التي أسندت لها أقل من 2.5.

جدول رقم (2) يبيّن توزّع سمات الشريك كما تصفها الشابة الجامعية على السلالم الأربعة

سمات الشريك (كما تصفها الشابة الجامعية)	سمات تحبّذها الشابة لشريكها **بنفس الدرجة** التي يعزوها الشاب لذاته	سمات تحبّذها الشابة لشريكها **أكثر** مما يعزوها الشاب لذاته	سمات تحبّذها الشابة لشريكها **أقل** مما يعزوها الشاب لذاته	سمات **لا تحبّذها** الشابة لشريكها
على سلّم الذكورة	طموح، ميل إلى تحليل الأمور، استعداد للنجدة، قدرة على الاحتمال،	شجاعة ، فصاحة في التعبير، اعتماد على الذات، قدرة على المواجهة، نشاط، قوّة، إبداع، تنظيم في التفكير، ثقة بالنفس، تحمّل المسؤولية، ذكاء، قدرة على اتخاذ القرار، تحدّي المشقات،إنتاجية، تحدّي الضغوط		
على سلّم الأنوثة	تضحية، تسامح، تعبير عن المشاعر، محبّة الأطفال، قناعة، هدوء، تهذيب، عاطفية، لطف، استعداد لخدمة الآخرين، ترتيب، جمال.	حنان، أناة (سعة الصدر)، مثابرة، تفهم، إخلاص، تواضع، ترتيب، تعبير عن المشاعر، جاذبية، ترتيب، صبر،		

على السلّم الحيادي	استعداد للمساعدة، ثبات في الطباع، تحسس لحاجات الآخرين، واقعية، تديّن، دقّة، صراحة، تمسّك بالمعايير الأخلاقية، ميل للمرح، دفاع عن المعتقدات، محافظة على التقاليد، ميل للمرح	الضمير الحي، حسن التواصل، كرم، صراحة، مثابرة، انسجام مع متطلبات المجتمع،		
على سلّم ذكورة-انوثة	حب المنافسة، حب المغامرة، اهتمام رياضي، براءة، شعور بالتفوّق، استقلالية، إمكانات لأن يكون قائداً		الاستعداد للمخاطرة، الميل للهو، الطاعة، الحياء،	اعتراف بالضعف، طاعة، ميل للانفعال، حساسية، حياء، غنج، ميل للهو، ميل للعدوانية، سيطرة،